التحليل البياني لسورة يوسف من الآية (١ـ٤٠)

م.د. محمد عاصي جمزة
جامعة الفراهيدي/كلية التربية
Mohammed.asse@uoalfarahidi.edu.iq
م. د. رعد صبار عبد
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
Fnngnejcnd@gmail.com

الملخص

هذا بحث في التحليل البياني في سورة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم, شرعنا فيه متوكلين على الله تعالى في كتابته, فكان هذا البحث الذي هو نزر من بحر لما اشتملت عليه هذه السورة المباركة, وقد تحرينا الدقة والأمانة في النقل والتعليل في ما دونته فيه وجعلناه في ثلاثة مطالبَ, الاختيار, والتركيب والانزياح, وإنِّي لأهدي ثواب ما تحصل منه إلى والدينا و المسلمين عامة ونسأله تعالى أن يجعله حجة لنا لا علينا, فإنْ كان صوابًا فمما وفقني الله تعالى به, وإن كان غير ذلك فهو مني, وأختم بالصلاة على سيدي ومولاي المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله و صحبه وسلم.

Abstract

This is a study of the graphical analysis of Surah Yusuf (peace and blessings be upon him and our Prophet). We embarked upon it, relying on God Almighty, and this study is but a drop in the ocean compared to what this blessed Surah contains. We have striven for accuracy and integrity in the transmission and reasoning of what I have recorded, and I have divided it into three sections: selection, composition, and displacement. I dedicate the reward of what is gained from it to my

parents and to Muslims in general, and I ask God Almighty to make it an argument for us, not against us. If it is correct, then it is due to what God Almighty has enabled me to do, and if it is otherwise, then it is from me. I conclude with prayers upon my master and my guide, the one sent as a mercy to the worlds, and upon his family and companions, and peace be upon them.

الكلمات المفتاحية: عدل، القدير، الاختيار، الانزياح

Keywords: justice, Almighty, choice, deviation

سورة يوسف

الِاسْمُ الْوَحِيدُ لِهَذِهِ السُّورَةِ اسْمُ سُورَةِ يُوسُفَ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ فِي كِتَابِ «الْإِصَابَةِ» فِي تَرْجَمَةِ رَافِعِ بْنِ مَالِكٍ الزُّرَقِيِّ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَا رَافِعِ بْنَ مَالِكٍ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِسُورَةِ يُوسُفَ، يَعْنِي بَعْدَ أَن بَايع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْعَقَبَةِ, وَ وَجْهُ تَسْمِيَتِهَا ظَاهِرٌ لِأَنَّهَا قَصَّتْ قِصَّةَ يُوسُفَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– كُلَّهَا، وَلَمْ تُذْكَرْ قِصَّتُهُ فِي غَيْرِهَا. وَلَمْ يُذْكَرِ اسْمُهُ فِي غَيْرِهَا إِلَّا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَغَافِرٍ. وَفِي هَذَا الِاسْمِ تَمَيُّزٌ لَهَا مِنْ بَيْنِ السُّوَرِ الْمُفْتَتَحَةِ بِحُرُوفِ (الَر)، كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ, وَهِيَ مَكِّيَّةٌ عَلَى الْقَوْلِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي الِالْتِفَاتُ إِلَى غَيْرِهِ, وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ مِنْ أَوَّلِهَا مَدَنِيَّةٌ, قَالَ فِي «الْإِتْقَانِ» : وَهُوَ وَاهٍ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ, نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ هُودٍ، وَقَبْلَ سُورَةِ الْحِجْرِ, وَهِيَ السُّورَةُ الثَّالِثَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ.

وَلَمْ تذكر قصَّة نبي فِي الْقُرْآنِ بِمِثْلِ مَا ذُكِرَتْ قِصَّةُ يُوسُفَ– عَلَيْهِ السَّلَامُ– هَذِهِ السُّورَةُ مِنَ الْإِطْنَابِ .

ومِنْ مَقَاصِدِ هَذِهِ السُّورَةِ رَوَى الْوَاحِدِيُّ وَالطَّبَرِيُّ يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فَتَلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أَصْحَابِهِ زَمَانًا، فَقَالُوا: (أَيِ الْمُسْلِمُونَ بِمَكَّةَ) :يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣))[يوسف: ١ – ٣]، فَأَهَمُّ أَغْرَاضِهَا: بَيَانُ قِصَّةِ يُوسُفَ– عَلَيْهِ السَّلَامُ– مَعَ إِخْوَتِهِ، وَمَا لَقِيَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِبَرِ مِنْ نَوَاحٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَفِيهَا إِثْبَاتُ أَنَّ بَعْضَ الْمَرَائِي قَدْ يَكُونُ إِنْبَاءً بِأَمْرٍ مُغَيَّبٍ، وَذَلِكَ مِنْ أُصُولِ النُّبُوءَاتِ وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الْحِكْمَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)) [يُوسُف: ٤]، وَأَنَّ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا

عِلْمٌ يَهَبُهُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ صَالِحِي عِبَادِهِ, وَتَحَاسُدُ الْقَرَابَةِ بَيْنَهُمْ. وَلُطْفُ اللَّهِ بِمَنْ يَصْطَفِيهِ مِنْ عباده, وَالْعِبْرَة بِحَسب الْعَوَاقِبِ، وَالْوَفَاءِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالتَّوْبَةِ, وَسُكْنَى إِسْرَائِيلَ وَبَنِيهِ بِأَرْضِ مصر, وتسلية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا لَقِيَهُ يَعْقُوبُ وَيُوسُفُ- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- مِنْ آلِهِمْ مِنَ الْأَذَى[١].

المطلب الأول : الاختيار

الاختيار: نقصد به الوحدات اللغوية التي اختارها المبدع في نصه حتى انتظمت هذه الوحدات اللغوية في عقد أسلوبيّ واحد تكون منها هذا النص.

١- في قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: ٢] كان الاختيار على الوحدة اللغوية(تعقلون) فإن قيل لِمَ لمْ يقلْ (تتفكرون) فنقول إنَّ القرآن أنزل ليكون مانعًا من الضلال, فناسب أن يختار لفظ تعقلون لما جاء في أصل وضعها للدلالة على المنع و الحبس عما يضر, فـ(تعقلون) : العين والقاف و اللام أصل واحد مُنقاسٌ مطرد يدل عظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة من ذلك, العقل وهو الحابس عن ذميم القول و الفعل[٢]، (فكر) الفاء والكاف و الراء تردد القلب في الشيء يقال تفكر اذا ردد قلبه معتبرًا ورجل فكير كثير الفكر [٣]، وحذف مفعول (تعقلون) للإشارة إلى أنَّ نزوله بهذه الطريقة، يترتب عليه حصول تعقل أشياء كثيرة لا يحصيها العدُّ [٤].

٢ – في قوله تعالى: (قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[يوسف:٥], كان الاختيار على الوحدة اللغوية (بُني), وَهَذَا التَّصْغِيرُ كِنَايَةٌ عَنْ تَحْبِيبٍ وَشَفَقَةٍ, نَزَّلَ الْكَبِيرَ مَنْزِلَةَ الصَّغِيرِ لِأَنَّ شَأْنَ الصَّغِيرِ أَنْ يُحَبَّ وَيُشْفَقَ عَلَيْهِ, وَفِي ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ إِمْحَاضِ النُّصْحِ لَهُ [٥] ويسمي النحاة مثل هذا تصغير التحبيب، وما ألطف قول بعض المتأخرين:

قد صغر الجوهر في ثغره لكنـه تصغير تحبيب [٦].

٣ – في قوله تعالى: (قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يوسف:٥] كان الاختيار على الوحدة اللغوية (رؤيا) لا (حلمت) لأن الفرق بين الحلم والرؤيا: كلاهما ما يراه الإنسان في المنام، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير، والشيء الحسن، والحلم: ما يراه من الشر والشيء القبيح، ويؤيده الحديث: " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان[٧][٨]، فوافق المعنى الحال التي عليها نبي الله يوسف عليه و على نبينا افضل الصلاة و التسليم من الايمان المطلق بالله تعالى فكان كل ما يراه في المنام على سبيل الرؤيا الحقة لا الحلم .

٤ – في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [يوسف: ٦] كان الاختيار على الوحدة اللغوية (يجتبيك) فإن قيل لمَ لمْ يقل (يختار)؟ فنقول: إنَّ الاجتباء اختيار واصطفاء؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: ((مَعْنَاهُ، وَكَذَلِكَ يَخْتَارُكَ وَيَصْطَفِيكَ ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ جَبَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا خَلَّصْتَهُ لِنَفْسِكَ)) [٩]، وقيل: الاجتباء بمعنى الاصطفاء والاختيار، مأخوذ من جبيت الشيء إذا اخترته لما فيه من النفع والخير [١٠]، وعليه كان في العدول عن اختار, اختيار وزيادة تحققت في قوله يجتبيك.

٥ – في قوله تعالى: (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [يوسف:٨] كان الاختيار على الوحدة اللغوية(عصبة) لا (جماعة), ولعل ذلك يعود إلى أَنَّ الْعُصْبَةَ وَالْعِصَابَةَ: جَمَاعَةٌ مَا بَيْنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ, وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:(وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) قَالَ الْأَخْفَشُ: ((العصبة والعصابة: جماعة ليس لها واحد [١١]، قال الخليل رحمه الله تعالى: والعُصبة من الرجال: عشرة، لا يُقال لأقلّ منه. وإخوة يوسف عليه السَّلام عشرة، قالوا: وَنَحْنُ عُصْبَةٌ)) [١٢]، والجماعة من الجمع و أقله ثلاثة فأتت الوحدة اللغوية مناسبة للعدد الذي عليه إخوة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة و السلام.

٦ – في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) [يوسف: ١٣] كان الاختيار على الوحدة اللغويةَ(وأخاف) لا (وأخشى) لأنَّ الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه تقول: (خِفتُ زيدًا), كما قال تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل:٥٠], وتقول: (خِفتُ المرضَ), كما قال سبحانه: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) [الرعد:٢١], والخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية ولهذا قال : (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)[الرعد: ٢١], فإن قيل أليس قد قال: (قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) [طه:٩٤], قلنا إنَّه خشي القول المؤدي إلى الفرقة والمؤدي إلى الشيء بمنزلة من يفعله, وقال بعض العلماء: (يقال: خَشيتُ زيدًا), ولا يقال: (خَشيتُ ذهابَ زيدٍ), فإن قيل ذلك فليس على الأصل ولكن على وضع الخشية مكان الخوف، وقد يوضع الشيء مكان الشيء إذا قرب منه [١٣].

٧ – في قوله تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [يوسف:٢٣]، كان الاختيار على الوحدة اللغوية (غَلَّقتْ) بتشديد عين الفعل لا تخفيفه (غلّقت) لدلالته على التكثير والتشديد, قال الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره: ((اعْلَمْ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ، فَلَمَّا

رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ طَمِعَتْ فِيهِ وَيُقَالُ أَيْضًا إِنَّ زَوْجَهَا كَانَ عَاجِزًا يُقَالُ: رَاوَدَ فُلَانٌ جَارِيَتَهُ عَنْ نَفْسِهَا وَرَاوَدَتْهُ هِيَ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا حَاوَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْوَطْءَ وَالْجِمَاعَ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَالسَّبَبُ أَنَّ ذَلِكَ الْعَمَلَ لَا يُؤْتَى بِهِ إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الْمَسْتُورَةِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ حَرَامًا، وَمَعَ قِيَامِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ وَقَوْلُهُ: وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ أَيْ أَغْلَقَتْهَا قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَشَبَّثَ فِي شَيْءٍ فَلَزِمَهُ قَدْ غَلِقَ يُقَالُ: غَلِقٌ فِي الْبَاطِلِ وَغَلِقٌ فِي غَضَبِهِ، وَمِنْهُ غَلْقُ الرَّهْنِ، ثُمَّ يُعَدَّى بِالْأَلِفِ فَيُقَالُ: أُغْلِقَ الْبَابُ إِذَا جَعَلَهُ بِحَيْثُ يَعْسُرُ فَتْحُهُ. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: (وَإِنَّمَا جَاءَ غَلَّقَتْ عَلَى التَّكْثِيرِ لِأَنَّهَا غَلَّقَتْ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ)، ثُمَّ دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا)) [١٤].

٨ – في قوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [يوسف:٣٠]، كان الاختيار بتجريد الفعل من تاء التأنيث على الظاهر و لم يقل (قالت نسوة) لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمُسْنَدَ إِلَى أَلْفَاظِ الْجُمُوعِ غَيْرُ الْجَمْعِ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ يَجُوزُ تَجْرِيدُهُ مِنَ التَّاءِ بِاعْتِبَارِ الْجَمْعِ، وَقَرْنُهُ بِالتَّاءِ بِاعْتِبَارِ الْجَمَاعَةِ مِثْلَ (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [سُورَة يُوسُف: ١٩] .

وَأَمَّا الْهَاءُ الَّتِي فِي آخِرِ نِسْوَةٌ فَلَيْسَتْ عَلَامَةَ تَأْنِيثٍ بَلْ هِيَ هَاءُ فِعْلَةٍ جَمْعُ تَكْسِيرٍ، مِثْلَ صِبْيَةٍ وَغِلْمَةٍ [١٥] وقيل أيضا إن دلالة التذكير والتأنيث في قوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [يوسف:٣٠]، بحسب القاعدة النحوية المعروفة أنَّه جائز باعتبار أنَّ جمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه, يؤنَّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر وإذا كان أقل يُذكّر الفعل, ونسوة هن حاشية امرأة العزيز, كما جاء في قوله أيضاً: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) [الحجر:١٤], استخدم الفعل قالت مؤنثاً لأن الأعراب كُثُر [١٦]، قال الدكتور فاضل صالح السامرائي: ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا) [الحجرات: ١٤]، وقوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ) [يوسف: ٣٠]، ونقول أنَّ هذا الأمر جائز من حيث الجواز اللغوي وليس في هذا شيء لكن السؤال يبقى لماذا اختار تعالى التذكير في موضع والتأنيث في موضع آخر؟ ونأخذ قوله تعالى: (جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) [آل عمران: ٨١] بتذكير فعل جاءكم، وقوله تعالى:(قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا) [الأعراف: ٥٣] بتأنيث فعل جاءت، ونلاحظ أنه في الآية الأولى كان الكلام عن جميع الرسل في جميع الأمم من آدم إلى أن تقوم الساعة وهذا يدل على الكثرة فجاء بالفعل مؤنّثاً للدلالة على الكثرة. أما في الآية الثانية فالخطاب لبني إسرائيل ولزمرة منهم وفي حالة معينة أيضاً وهذا يدل على القلة فجاء بالفعل مذكّراً)) [١٧].

المطلب الثاني: التركيب

التركيب: هو كل ما تجمع من الكلام ليدل على معنى, و لهذا أصغر وحدة في التركيب هي الجملة.

١ – في قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[يوسف:٢], نلحظ دقة التركيب من اسناد الوحدات الى بعضها وحذف بعضها واختيار ما يناسب النص الكريم فقد جاء في التحرير والتنوير ما نصه: ((وَقَدْ أَفْصَحَ عَنِ التَّعْلِيلِ الْمَقْصُودِ جُمْلَةُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، أَيْ رَجَاءُ حُصُولِ الْعِلْمِ لَكُمْ مِنْ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، لِأَنَّكُمْ عَرَبٌ فَنُزُولُهُ بِلُغَتِكُمْ مُشْتَمِلًا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُكُمْ هُوَ سَبَبٌ لِعَقْلِكُمْ مَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ، وَعَبَّرَ عَنِ الْعِلْمِ بِالْعَقْلِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ دَلَالَةَ الْقُرْآنِ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ قَدْ بَلَغَتْ فِي الْوُضُوحِ حَدَّ أَنْ يَنْزِلَ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ الْعِلْمُ مِنْهَا مَنْزِلَةَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، وَأَنَّهُمْ مَا دَامُوا مُعْرِضِينَ عَنْهُ فَهُمْ فِي عِدَادِ غَيْرِ الْعُقَلَاءِ))، وَحَذْفُ مَفْعُولِ تَعْقِلُونَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ إِنْزَالَهُ كَذَلِكَ هُوَ سَبَبٌ لِحُصُولِ تَعَقُّلٍ لِأَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعُلُومِ مِنْ إِعْجَازٍ وَغَيْرِهِ، وَتَقَدَّمَ وَجْهُ وُقُوعِ (لَعَلَّ) فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَحْمَلُ الرَّجَاءِ الْمُفَادِ بِهَا على مَا يؤول إِلَى التَّعْلِيلِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة:٢٠], وَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ بَعْدَهَا بِمَا لَا التباس بعده[١٨].

٢ – وفي قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) [يوسف:٣]، من جميل التقديم الذي أفاده التركيب القرآنيُّ في: (نَحْنُ نَقُصُّ) تَقْدِيمُ الضَّمِيرِ عَلَى الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ يُفِيدُ الِاخْتِصَاصَ، أَيْ نَحْنُ نَقُصُّ لَا غَيْرُنَا، رَدًّا عَلَى مَنْ يَطْعَنُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِمْ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [النحل: ٢٤] وَقَوْلِهِمْ: يُعَلِّمُهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ اسْمُهُ الرَّحْمَانُ، وَقَوْلُ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُتَقَدِّمُ دِيبَاجَةُ تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَفِي هَذَا الِاخْتِصَاصِ تَوَافُقٌ بَيْنَ جُمْلَةِ الْبَدَلِ وَالْجُمْلَةِ الْمُبْدَلِ مِنْهَا فِي تَأْكِيدِ كَوْنِ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْمُفَادِ بِقَوْلِهِ : بِقَوْلِهِ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا) [سُورَة يُوسُف: ٢][١٩]، يَتَضَمَّنُ رَابِطًا بَيْنَ جُمْلَةِ الْبَدَلِ وَالْجُمْلَةِ الْمُبْدَلِ مِنْهَا، وَافْتِتَاحُ الْجُمْلَةِ بِضَمِيرِ الْعَظَمَةِ لِلتَّنْوِيهِ بِالْخَبَرِ، كَمَا يَقُولُ كِتَابُ الدِّيوَانِ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ بِكَذَا .

٣ – في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) [يوسف:٤], نلحظ في هذا النص الكريم من جميل التركيب تقديما و تأخيرا, و إجمالا و تفصيلا و كل لحكمة أرادها المبدع القدير تبارك و تعالى, حيث ورد تقديمان أفادا دلالة بليغة, فالأول منهما تقديم الشمس على القمر لأن الضياء الصادر من الشمس أصلي منبعث من توهجها و نور القمر مكتسب منعكس و لا يماثل ما تجود به الشمس من ضياء, قال

الآلوسي: ((وتقديم الشمس على القمر لما جرت عليه عادة القرآن إذا جمع الشمس والقمر، وكان ذلك إما لكونها أعظم جرما وأسطع نورا وأكثر نفعا من القمر وإما لكونها أعلى مكانا منه وكون فلكها أبسط من فلكه على ما زعمه أهل الهيئة وكثيرين من غيرهم، وإما لأنها مفيضة النور عليه كما ادعاه غير واحد، واستأنس له بقوله سبحانه: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا) [يونس: ٥] [٢٠]، وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ عَلَى عَامِلِهِ فِي قَوْلِهِ: (لِي سَاجِدِينَ) لِلِاهْتِمَامِ، عَبَّرَ بِهِ عَنْ مَعْنَى تَضَمُّنِهِ كَلَامَ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِلُغَتِهِ يَدُلُّ عَلَى حَالَةٍ فِي الْكَوَاكِبِ مِنَ التَّعْظِيمِ لَهُ تَقْتَضِي الِاهْتِمَامَ بِذِكْرِهِ فَأَفَادَهُ تَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ [٢١], وإجمال الكواكب يدل على إخوة يوسف عليه و على نبينا الصلاة و السلام و التصريح باسمه الشريف لما فيه من المكانة والاهتمام ممهدا له بأوّل بشارات الصلاح وهي الرؤيا التي يراها الصالحون مع تأكيد حدوثها بـ(إن) تمهيدا لتحققها مستقبلا، وفي الوحدة اللغوية: (ساجدين) أجرى الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر مجرى العقلاء وهو الذي يسميه النحاة تغليبا وهذا الوصف صناعي، أما السر البياني فأمر كامن وراء هذا الوصف ذلك لأنَّه لما وصف الكواكب والشمس والقمر بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم وسيأتي الكثير منه في القرآن [٢٢] .

٤ – في قوله تعالى: (قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)[يوسف:٧٨], نلحظ في النص الكريم تصويرًا جميلًا لحالة الاستعطاف التي رسمها إخوة يوسف على العزيز فإنَّهم وَصَفُوا أَبَاهُمْ بِثَلَاثِ صِفَاتٍ تَقْتَضِي التَّرْقِيقَ عَلَيْهِ، وَهِيَ: حَنَانُ الْأُبُوَّةِ، وَصِفَةُ الشَّيْخُوخَةِ، وَاسْتِحْقَاقُهُ جَبْرَ خَاطِرِهِ لِأَنَّهُ كَبِيرُ قَوْمِهِ أَوْ لِأَنَّهُ انْتَهَى فِي الْكِبَرِ إِلَى أَقْصَاهُ فَالْأَوْصَافُ مَسُوقَةٌ لِلْحَثِّ عَلَى سَرَاحِ الِابْنِ لَا لِأَصْلِ الْفَائِدَةِ لِأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا أَخْبَرُوا يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِخَبَرِ أَبِيهِمْ, وَالْمُرَادُ بِالْكَبِيرِ: إِمَّا كَبِيرُ عَشِيرَتِهِ فَإِسَاءَتُهُ تَسُوؤُهُمْ جَمِيعًا وَمِنْ عَادَةِ الْوُلَاةِ اسْتِجْلَابُ الْقَبَائِلِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَبِيراً تَأْكِيدًا لِـ شَيْخاً أَيْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْكِبَرِ من السِّنّ، وَلِذَلِكَ فَرَّعُوا عَلَى ذَلِكَ فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ، إِذْ كَانَ هُوَ أَصْغَرَ الْإِخْوَةِ، وَالْأَصْغَرُ أَقْرَبُ إِلَى رِقَّةِ الْأَبِ عَلَيْهِ, وَجُمْلَةُ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ تَعْلِيلٌ لِإِجَابَةِ الْمَطْلُوبِ لَا لِلطَّلَبِ, وَالتَّقْدِيرُ: فَلَا تردّ سؤالنا لِأَنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فَمِثْلُكَ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ مَا يَسُوءُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا [٢٣] .

٥ – في قوله تعالى: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)[يوسف:٨٠], نلحظ في النص الكريم عدة أمور, منها اسْتَيْأَسُوا بِمَعْنَى يَئِسُوا فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلتَّأْكِيدِ، وَمِثْلُهَا (فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ) [يُوسُف: ٣٤] وفَاسْتَعْصَمَ.

وَالْيَأْسُ مِنْهُ: الْيَأْسُ مِنْ إِطْلَاقِهِ أَخَاهُمْ، فَهُوَ مِنْ تَعْلِيقِ الْحُكْمِ بِالذَّاتِ, وَالْمُرَادُ بَعْضُ أَحْوَالِهَا بِقَرِينَةِ الْمَقَامِ لِلْمُبَالَغَةِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ اسْتَيْأَسُوا بِتَحْتِيَّةٍ بَعْدَ الْفَوْقِيَّةِ وَهَمْزَةٍ بَعْدَ التَّحْتِيَّةِ عَلَى أَصْلِ التَّصْرِيفِ, وَقَرَأَهُ الْبَزِّيُّ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ بِخُلْفٍ عَنْهُ بِأَلِفٍ بَعْدَ الْفَوْقِيَّةِ ثُمَّ تَحْتِيَّةٍ عَلَى اعْتِبَارِ الْقَلْبِ فِي الْمَكَانِ ثُمَّ إِبْدَالِ الْهَمْزَةِ [٢٤].

وخَلَصُوا بِمَعْنَى اعْتَزَلُوا وَانْفَرَدُوا, وَأَصْلُهُ مِنَ الْخُلُوصِ وَهُوَ الصَّفَاءُ مِنَ الْأَخْلَاطِ, وَمِنْهُ قَول عبد الرحمن بْنِ عَوْفٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا حَيْثُ عَزَمَ عُمَرُ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَلَى أَنْ يَخْطُبَ فِي النَّاسِ فَيُحَذِّرَهُمْ مِنْ قَوْمٍ يُرِيدُونَ الْمُزَاحَمَةَ فِي الْخِلَافَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ، قَالَ عبد الرحمان بْنُ عَوْفٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ [٢٥].

وَالنَّجِيُّ: اسْمٌ مِنَ الْمُنَاجَاةِ، وَانْتِصَابُهُ على الْحَال. وَلما كَانَ الْوَصْفُ بِالْمَصْدَرِ يُلَازِمُ الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذْ هُمْ نَجْوى, وَالْمَعْنَى: انْفَرَدُوا تَنَاجِيًا.

وَالتَّنَاجِي: الْمُحَادَثَةُ سِرًّا، أَيْ مُتَنَاجِينَ. وَجُمْلَةُ قالَ كَبِيرُهُمْ بَدَلٌ مِنْ جُمْلَةِ خَلَصُوا نَجِيًّا وَهُوَ بَدَلُ اشْتِمَالٍ، لِأَنَّ الْمُنَاجَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا قَوْلُ كَبِيرِهِمْ هَذَا، وَكَبِيرُهُمْ هُوَ أَكْبَرُهُمْ سَنًّا وَهُوَ رُوبِينُ بِكْرُ يَعْقُوبَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ-.وَالِاسْتِفْهَامُ فِي أَلَمْ تَعْلَمُوا تَقْرِيرِيٌّ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّذْكِيرِ بِعَدَمِ اطْمِئْنَانِ أَبِيهِمْ بِحِفْظِهِمْ لِابْنِهِ, وَجُمْلَةُ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ, وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، أَيْ تَفْرِيطُكُمْ فِي يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ مِنْ قِبَلِ الْمَوْثِقِ، أَيْ فَهُوَ غَيْرُ مُصَدِّقِكُمْ فِيمَا تُخْبِرُونَ بِهِ مِنْ أَخْذِ بِنْيَامِينَ فِي سَرِقَةِ الصُّوَاعِ [٢٦]، وَقَوْلُهُ: أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي تَرْدِيدٌ بَيْنَ مَا رَسَمَهُ هُوَ لِنَفْسِهِ وَبَيْنَ مَا عَسَى أَنْ يكون الله قد قَدَّرَهُ لَهُ مِمَّا لَا قِبَلَ لَهُ بِدَفْعِهِ، فَحُذِفَ مُتَعَلِّقُ يَحْكُمَ الْمَجْرُورُ بِالْبَاءِ لِتَنْزِيلِ فِعْلِ يَحْكُمُ مَنْزِلَةَ مَا لَا يَطْلُبُ مُتَعَلِّقًا. وَاللَّامُ لِلْأَجْلِ، أَيْ يَحْكُمَ اللَّهُ بِمَا فِيهِ نَفْعِي. وَالْمُرَادُ بِالْحُكْمِ التَّقْدِيرُ, وَجُمْلَةُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ تَذْيِيلٌ, وخَيْرُ الْحاكِمِينَ إِنْ كَانَ عَلَى التَّعْمِيمِ فَهُوَ الَّذِي حُكْمُهُ لَا جَوْرَ فِيهِ أَوِ الَّذِي حُكْمُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ نَقْضَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى إِرَادَةِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ لِي فَالْخَبَرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الثَّنَاءِ لِلتَّعْرِيضِ بِالسُّؤَالِ أَنْ يُقَدِّرَ لَهُ مَا فِيهِ رَأْفَةٌ فِي رَدِّ غُرْبَتِهِ [٢٧].

المطلب الثالث : الانزياح

الانزياح : قدرة المبدع على انتهاك المتناول المألوف و اختراقه صوتيًّا وحرفيًّا وتركيبيًّا و دلاليًّا بما يتفق مع قواعد اللغة العربية و أصولها.

١ – في قوله تعالى: (قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يوسف:٥], عدل المبدع القدير بقوله (إخوة) عن (إخوان) هذا العدول لحكمة بليغة فالأخوة تحصل من النسب, والاخوانية تحصل من الصحبة الصالحة و الصداقة [٢٨], و قد ينزل الأول منزلة الثاني لمبالغة في المعنى المراد.

٢ – قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: ٢١]، عدل المبدع القدير في قوله: (مكنا) ورد بصيغة المضي إلى قوله تعالى: (نعلمة) الذي ورد بصيغة المضارعة الدالة على الحال والتجدد والاستمرار في التعليم، وهذا من جميل الالتفات وأحسنه.

٣ – في قوله تعالى: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) [يوسف:٢٩], يقول المبدع القدير على لسان حال عزيز مصر . ينقل كلامه القرآن حينما واجه امرأته ويوسف على حالة استنكرها . يقول ، فيُخاطب يوسف أوّلاً، ثُمَّ يَلتفت إلى امرأته يُوبّخها ، وكِلا الخطابَين مُنساق في نسقٍ واحد ولكن في واجهتَين ، وقد نَقله القرآن على شاكلته الأُولى . والقرآن كلّه من هذا القبيل ؛ لأنّه كلام الله واجه به عباده في صياغة خطاب ولم ينزل في صياغة كتاب؛ ومِن ثَمَّ كانت فيه هذه الكثرة من الالتفات والتنقّل في الكلام ، الأمر الذي زادَ في طراوته وزانَ في طُلاوته.

٤ – في قوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [يوسف:٣٠], عدل المبدع القدير على لسان حال امرأة العزيز من نون التوكيد الثقيلة إلى الخفيفة علما أن الأولى أقوى في التوكيد من الثانية فتدل على كثرة احتمال قدرتها على سجنه التي لا تقابل قدرتها على جعله صاغرا بل هو ضرب من الأوهام التي زينتها لها الآمال, فجمهور البصريين يرى أن نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة أصلان لتخالفهما في بعض أحكامهما كإبدال الخفيفة ألفا في نحو وليكونا وحذفها في نحو قوله:

ولا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه [٢٩]

وكلاهما ممتنع في الثقيلة، هذا ما قاله سيبويه وعورض بأنَّ الفرع قد يختص بما ليس للأصل أحيانا وقد قال سيبويه نفسه في أنَّ المفتوحة أنها فرع المكسورة [٣٠], ولها إذا خففت أحكام تخصها أما الكوفيون فيرون أنَّ الخفيفة فرع الثقيلة.

وذكر الخليل بن أحمد: ((أنَّ التوكيد بالثقيلة أشدُّ من التوكيد بالخفيفة يدل له (ليسجنن وليكونن) فإنَّ امرأة العزيز كانت أشدُّ حرصا على سجنه من كينونته صاغرًا)) [٣١].

٥ – قوله تعالى: (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) [يوسف:٣٧], عدل المبدع القدير من الفعل المضارع في قوله تعالى (يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) إلى الفعل الماضي(إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا) ، لدلالة التحقيق التي يفيدها الفعل الماضي باعتبار ما كان من أمر الله تعالى في لوحه المحفوظ فما يعيشه المخلوق من حال, مطوي في قدرة الله تعالى وكائن متحقق بأمره ومشيئته.

٦ – قوله تعالى: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف:٤٠], عدل المبدع القدير من الفعل المضارع(تعبدون) إلى الفعل الماضي في قوله تعالى: (سميتموها) لبيان توارث المعتقدات الفاسدة دون بحث وتحرٍ واستقصاء بالدليل و هذا ما يفسره قوله تعالى: (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) [الانبياء:٥٣], قال أبو السعود مفسرًا هذه الآية الكريمة : سبب عبادتِهم لها كما ينبئ عنه وصفُه عليه السلام إياهم بالعكوف لها كأنه قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأٌ يعتدّ به التجأوا إلى التقليد [٣٢].

الخاتمة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات و تقضى الصعاب و الحاجات و الصلاة و السلام على سيد السادات و منبع السعادات و على آله و صحبه و سلم تسليما مباركا الى يوم الدين و بعد فإن من أهم ما توصلت إليه من نتائج :

١ – إظهار إعجاز القرآن البياني الذي عجز عن مجاراته فصحاء العرب و الناطقين بالعربية .

٢ – كشف سر الاختيارات للوحدات اللغوية و حسن توظيفها في السياق .

٣ – بيان مواضع الحذف و التقديم و التأخير و دلالاتها المعنوية و الجمالية .

٤ – براعة التراكيب المختارة في أداء المعنى المقصود .

٥ – كشف مواضع العدول و الانزياح في السورة الكريمة و ما لها من دلالة و تأثير.

المصادر

١. ,أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ),المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي, الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢. إعراب القرآن وبيانه, محيي الدينبن أحمد مصطفى درويش,(ت١٤٠٣هـ) دار النشر للشِئُون الجامعية حمص سورية دار اليمامة – دمشق – بيروت, الطبعة الرابعة١٤١٥هـ .

٣. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ

٤. الأمالي = شذور الأمالي = النوادر، لأبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م .

٥. التحرير و التنوير, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر–تونس ١٩٨٤م.

٦. التفسير البسيط, المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ), المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه/ الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم, محمد سيد طنطاوي, دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع, الفجالة– القاهرة, الطبعة الأولى.

٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسيّ(ت١٢٧٠هـ) المحقق علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤١٥هـ

٩. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ), المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٠. لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

١١. لسان العرب, محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت٧١١هـ), بيروت الطبعة الثالثة.

١٢. لمسات بيانية, الدكتور فاضل صالح السامرائي, اعده للشاملة ابو عبد المعز, الكتاب مرقم آليا.

١٣. مختصر صحيح مسلم «للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري»، لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

١٤. معجم الفروق اللغوية, أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت نحو٣٩٥هـ) تحقيق الشيخ بيت الله بيات و مؤسسة النشر الاسلامي, مؤسسة النشر الاسلامي التابعة للمدرسين بقم, الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٥. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٦. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

١٧. ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم٦/٧٢, ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم, أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(ت٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت .

١() التحرير و التنوير ١٢ / ١٩٧ و ١٩٨, التحرير و التنوير, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر-تونس ١٩٨٤م.

٢() ينظر: مقاييس اللغة ٦٩/٤ .

٣() ينظر: مقاييس اللغة ٤٤٦/٤ .

٤() ينظر: التفسير الوسيط ٧ /٣١٥, التفسير الوسيط للقرآن الكريم, محمد سيد طنطاوي, دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع, الفجالة- القاهرة, الطبعة الأولى.

٥() ينظر: التحرير و التنوير ١٢/ ٢١٣ .

٦() روح المعاني ٦ /٣٧٣, روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسيّ(ت١٢٧٠هـ) المحقق علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤١٥هـ

٧() مختصر صحيح مسلم ص١٦٠ .

٨() معجم الفروق اللغوية , أبو هلال العسكري , ص ١٩٩, معجم الفروق اللغوية, أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت نحو٣٩٥هـ) تحقيق الشيخ بيت الله بيات و مؤسسة النشر الإسلامي, مؤسسة النشر الإسلامي التابعة للمدرسين بقم, الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٩() ينظر: لسان العرب ١٤ / ١٤١, لسان العرب, محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت٧١١هـ), بيروت الطبعة الثالثة.

١٠() ينظر: التفسير الوسيط ٧ /٣٢٠.

١١() ينظر: لسان العرب / ج١ / ص ٦٠٥.

١٢() العين / ج١ , ص ٣٠٩, العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ), المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٣() معجم الفروق اللغوية / ص ٢١٨ .

١٤() التفسير الكبير ١٨ /٤٣٨.

١٥() ينظر: التحرير و التنوير ١٢/٢٦٠.

١٦() ينظر: لمسات بيانية ٤٦٣, لمسات بيانية, الدكتور فاضل صالح السامرائي, اعده للشاملة ابو عبد المعز, الكتاب مرقم آليا.

١٧() لمسات بيانية ٤٦٩ .

١٨() التحرير والتنوير ٢٠٢/١٢.

١٩() التحرير والتنوير ٢٠٣/١٢.

٢٠() روح المعاني٣٧١/٦

٢١() ينظر: التحرير و التنوير ١٢ / ٢٠٨.

٢٢() اعراب القرآن الكريم و بيانه ٤ / ٤٥١, إعراب القرآن وبيانه, محيي الدينبن أحمد مصطفى درويش,(ت١٤٠٣هـ) دار النشر للشِئُون الجامعية حمص سورية دار اليمامة – دمشق – بيروت, الطبعة الرابعة١٤١٥هـ .

٢٣() ينظر: التحرير و التنوير ١٣ /٣٦ .

٢٤() ينظر: التحرير والتوير٣٩/١٣.

٢٥() ينظر: التحرير والتنوير ٣٩/١٣.

٢٦() ينظر: التحرير و التنوير ج١٣ , ص٣٩و٤٠ .

٢٧() ينظر: التحرير و التنوير ١٣ , /٤٠ .

٢٨() ينظر: التفسير البسيط٣١٢/١٠, التفسير البسيط, المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ), المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه/ الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٢٩() في الأصل: ولا تهين الكريم ولم أقف علي هذه الرواية في أيّ مصدر وانظر: أمالى القالى ١/ ١٠٨ .

٣٠() ينظر: أوضح المسالك ٩٣/٤, وإعراب القران وبيانه ٤٩٠/٤,أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ),المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي, الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣١() ينظر: اعراب القران و بيانه ٤/ ٤٨٩ و ٤٩٠ .

٣٢() ينظر: ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم٦/٧٢, إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم, أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(ت٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت.